نور الإسلام وظلمات الكفر

في ضوء الكتاب والسنة

تأليف الفقير إلى الله تعالى

الدكتور/ سعيد بن علي بن وهف القحطاني

ⓒ سعيد بن علي بن وهف القحطاني ، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القحطاني ، سعيد بن علي بن وهف .
نور الإسلام وظلمات الكفر . – الرياض .
٧٦ ص ؛ ١٢ × ١٧ سم .
ردمك : ٠ – ٥٨١ – ٣٥ – ٩٩٦٠ .
١ – الإسلام – مبادئ عامة أ – العنوان
ديوي ٢١١ ١٩/٤٣١٨

رقم الإيداع: ١٩/٤٣١٨
ردمك : ٠ – ٥٨١ – ٣٥ – ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقــدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فهذه رسالة مختصرة في: «**نور الإسلام وظلمات الكفر**»، ذكرت فيها بإيجاز: مفهوم الإسلام، ومراتبه، وثمراته، ومحاسنه، ونواقضه، وبينت: الكفر، ومفهومه، وأنواعه، وخطورة التكفير، وأصول المكفرات، وآثار الكفر وأضراره.

ولاشك أن الله تعالى أرسل محمداً ﷺ إلى

الناس جميعاً، وسماه نوراً؛ لأنه أنار به الحق وأظهر به الإسلام، ومحق به الكفر، قال عز وجل: ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾[1]، وقال عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[2]، وبين الله سبحانه أنه يهدي بكتابه من اتبع رضوانه طرق السلام، ويخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، قال سبحانه وتعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3]، وبين سبحانه وتعالى أن من شرح صدره للإسلام ومعرفته والإقرار بوحدانية الله تعالى، والخضوع

(١) سورة المائدة، الآية: ١٥.
(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥ – ٤٦.
(٣) سورة المائدة، الآيتان: ١٥ – ١٦.

لطاعته فهو على نور من ربه وعلى بصيرة مما هو عليه، ويقين بتنوير الحق في قلبه، فهو لذلك الأمر مُتبع وعما نهاه عنه مُنتهٍ، قال سبحانه: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1]، وقال عز وجل: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2].

وقد قسمت البحث إلى مبحثين، وتحت كل مبحث مطالب على النحو الآتي:

المبحث الأول: نور الإسلام:

المطلب الأول: مفهوم الإسلام.

المطلب الثاني: مراتب الإسلام.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٢

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

المطلب الثالث: ثمرات الإسلام ومحاسنه.
المطلب الرابع: نواقض الإسلام.

المبحث الثاني: ظلمات الكفر:

المطلب الأول: مفهوم الكفر.
المطلب الثاني: أنواع الكفر.
المطلب الثالث: خطورة التكفير.
المطلب الرابع: أصول المكفرات.
المطلب الخامس: آثار الكفر وأضراره.

والله سبحانه أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعله عملاً مباركاً نافعاً لي ولكل من انتهى إليه؛ فإنه عز وجل خير مسؤول وأكرم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله وخيرته من خلقه، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المؤلف

حرر في ضحى يوم الثلاثاء الموافق ١٦/ ١٠/ ١٤١٩هـ.

المبحث الأول: نور الإسلام

○ المطلب الأول: مفهوم الإسلام:

الإسلام لغة: الانقياد والإذعان، أما في الشرع، فلإطلاقه حالتان:

الحالة الأولى: أن يطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإيمان، فهو حينئذ يراد به الدين كله: أصوله وفروعه: من اعتقاداته، وأقواله، وأفعاله، فتبين بذلك أن الإسلام عند إطلاقه مفرداً: هو الاعتراف باللسان، والاعتقاد بالقلب، والاستسلام لله في جميع ما قضىٰ وقدَّر، كما ذُكِرَ عن إبراهيم ﷺ في قوله[1] ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] ، وكقوله

---

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للعلامة الراغب الأصفهاني، مادة «سلم» ص ٤٢٣، ومعارج القبول، للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، ٢/ ٥٩٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣١.

عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾(٢)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾(٣).

فظهر أن الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

الحالة الثانية: أن يطلق الإسلام مقترنا بذكر الإيمان، فهو حينئذ يراد به الأعمال والأقوال الظاهرة، وبه يحقن الدم سواء حصل معه الاعتقاد أو لم يحصل معه(٤)؛ كقوله تعالى:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.
(٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للعلامة الراغب الأصفهاني، مادة «سلم» ص ٤٢٣، وجامع العلوم والحكم لابن رجب ١/ ١٠٤، ومعارج القبول، للشيخ حافظ الحكمي، ٢/ ٥٩٦.

﴿ ۞قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴾(1) .

○ **المطلب الثاني: مراتب الإسلام:**

لاشك أن أصول الدين التي يجب على كل مسلم معرفتها والعمل بها ثلاثة: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه محمداً ﷺ. فالإسلام هو الأصل الثاني من أصول الدين، وهو ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان. وكل مرتبة من هذه المراتب لها أركان على النحو الآتي:

أولاً: مرتبة الاسلام وأركانه خمسة: شهادة أن لا إلـه إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً؛ لقول النبي ﷺ في جوابه لجبريل عليه السلام:

(1) سورة الحجرات، الآية: ١٤ .

«الإسلام أن تشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا»[١] ، ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»[٢] .

ثانياً: مرتبة الإيمان، وهو بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إلـه إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان،

---

(١) مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان، ١/ ٣٧، برقم ٨، من حديث عمر رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ «بني الإسلام على خمس»، ١/ ٩، برقم ٨، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أركان الإسلام ودعائمه العظام، ١/ ٤٥، برقم ١٦، وانظر: ثلاثة الأصول، للشيخ محمد بن عبدالوهاب المطبوع مع حاشية ابن القاسم، ص ٢٥ و ٤٧، فقد ذكر لكل ركن من هذه الأركان دليلاً من الكتاب، ودليلاً من السنة.

وأركانه ستة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره؛ لحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة جواب النبي ﷺ لجبريل: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[١] .

ثالثا: مرتبة الإحسان، وهو ركن واحد، وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك؛ لحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة جواب النبي ﷺ لجبريل حينما سأله عن الإحسان فقال: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[٢] ، ولاشك أن معنى الإحسان في اللغة: إجادة العمل وإتقانه، وإخلاصه، وفي الشرع: هو ما فسره النبي ﷺ

---

(١) تقدم تخريجه، انظر ص ١٠ .
(٢) تقدم تخريجه، انظر ص ١٠ .

بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فـإنـه يـراك» والمقصـود أنـه ﷺ فسر الإحسـان بتحسين الظاهر والباطن، وأن يستحضر قرب الله عز وجل، وأنه بين يديه كأنه يراه، وذلك يوجب الخشية، والخوف، والهيبة، والتعظيم، ويوجب النصح في العبادة بتحسينها، وبذل الجهد في إتمامها، وإكمالها[1]، ولأهمية الإحسان فقد جاء ذكره في القرآن في مواضع: تارة مقروناً بالإيمان، وتارة مقروناً بالإسلام، وتارة مقروناً بالتقوى، وتارة مقروناً بالعمل، فالمقرون بالإيمان كقول الله عز وجل: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ١/ ١٢٦، ومعارج القبول، لحافظ الحكمي، ٢/ ٦١١، وثلاثة الأصول للشيخ محمد بن عبدالوهاب المطبوع مع حاشية ابن القاسم ص ٦٢ وص ٦٥، فقد ذكر لجميع أركان الإيمان، وركن الإحسان دليلاً من الكتاب، ودليلاً من السنة لكل ركن.

وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[١]، والمقرون بالإسلام كقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾[٣] والمقرون بالتقوى كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[٤] وقد يذكر مفرداً كقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[٥] وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله عز وجل في الجنة[٦]، وهذا مناسب

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٢.
(٣) سورة لقمان، الآية: ٢٢.
(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٨.
(٥) سورة يونس، الآية: ٢٦.
(٦) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، ١/ ١٦٣، برقم ١٨٠.

لجعله جزاءً لأهل الإحسان؛ لأن الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة، كأنه يراه بقلبه، وينظر إليه في حالِ عبادته، فكان جزاءُ ذلك النظر إلى الله عياناً في الآخرة[1] .

المطلب الثالث: ثمرات الإسلام ومحاسنه

الإسلام له فضائل عظيمة، وآثار حميدة، ونتائج كريمة، منها ما يأتي:

١ ـ الإسلام الصحيح يثمر كل خير في الدنيا والآخرة.

٢ ـ أعظم أسباب الحياة الطيبة والسعادة في الدنيا والآخرة. قال الله عز وجل: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[2] .

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ١/ ١٢٦ .
(٢) سورة النحل، الآية: ٩٧ .

٣ ـ الإسلام يخرج الله به من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام والإيمان.

٤ ـ الإسـلام يغفـر الله بـه جميـع الـذنـوب والسيئات؛ لقول الله تعالى للنبي ﷺ: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾[1] ، وفي حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه في قصة إسلامه، قال: (فلما جعـل الله الإسـلام فـي قلبـي أتيـت النبـي ﷺ فقلت: ابسط يمينك، فلأُبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: «مالك ياعمرو؟» قال: قلت: أردت أن أشترط. قال: «تشترط بماذا؟» قلت: أن يُغفَرَ لي، قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟»[2] .

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسلام يهدم ما قبله، ١/ ١١٢، برقم ١٢١.

٥ ـ إذا أحسن المسلم الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في كفره، لقول النبي ﷺ لرجل سأله: **«إذا أحسنت في الإسلام لم تُؤاخذ بما عملت في الجاهلية، وإذا أسأت في الإسلام أُخذت بالأول والآخر»**(١) .

٦ ـ الإسلام يجمع الله به للعبد حسناته في الكفر والإسلام؛ لحديث حكيم بن حزام رضي الله عنه أنه قال: قلت: يارسول الله، أرأيت أشياء كنت أتحنث بها في الجاهلية، من: صدقة، وعتاق، وصلة رحم، فهل فيها من أجر؟ فقال النبي ﷺ: **«أسلمت على ما سلف لك من خير»**(٢) .

٧ ـ الإسلام يدخل الله به الجنة، ففي حديث

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، ١/ ٣٧٩، وصححه أحمد محمد شاكر في شرحه للمسند ٥/ ٣٠٩، برقم ٣٥٩٦ .

(٢) البخاري، كتاب الزكاة، باب من تصدق في الشرك ثم أسلم، ٢/ ١٤٦، برقم ١٤٣٦، ورقم ٢٢٢٠، ٢٥٣٨، و٥٩٩٢ .

أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن رسالته، وعن الصلوات الخمس، والزكاة، والصوم، والحج، وهذه أركان الإسلام، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن، فقال النبي ﷺ: «**لئن صدق ليدخلن الجنة**»(١).

٨ ـ سبب في النجاة من النار، فقد ثبت في حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: (كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: «**أسلم**»، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**»)(٢).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام، ١/ ٤١، برقم ١٢، وانظر: حديث رقم ١٣، في الكتاب نفسه.

(٢) البخاري، في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، ٢/ ١١٨، برقم ١٣٥٦.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنه لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مسلمةٌ، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»(١).

٩ ـ الفلاح والفوز العظيم من ثمرات الإسلام، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم، ورُزِقَ كفافاً، وقنَّعه الله بما آتاه»(٢).

١٠ـ الإسلام يضاعف الله به الحسنات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتبُ بعشر أمثالها إلى سبعمائة

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الجهاد، بابٌ: إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر، برقم ٣٠٦٢، وكتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ٥/ ٨٩، برقم ٤٢٠٣، ومسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، ١/ ١٠٥، برقم ١١١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الكفاف والقناعة، ٢/ ٧٣٠، برقم ١٠٥٤.

ضعف، وكـل سيئة تكتب له بمثلها حتى يلقى الله»[١].

١١ـ يكون العمل القليل كثيراً بالإسلام الصحيح؛ ولهذا قال النبي ﷺ لرجل جاء إليه مقنع بالحديد، فقال: يارسول الله، أُقاتل أو أسلم؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أسلم ثم قاتل**»، فأسلم ثم قاتل فَقُتِلَ فقال رسول الله ﷺ: «**عمل قليلًا وأُجر كثيراً**»[٢].

١٢ـ الخير كله في الإسلام، ولا خير في العرب ولا في العجم إلا بالإسلام، وقد ثبت في الحديث: «**أيما أهل بيت من العرب أو**

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، ١/ ١١٨، برقم ١٢٩.
(٢) متفق عليه من حديث البراء رضي الله عنه، البخاري كتاب الجهاد والسير، بابٌ: عمل صالح قبل الجهاد، ٣/ ٣٧١، برقم ٢٨٠٨، واللفظ لـه، ومسلـم كتـاب الإمـارة بـاب ثبـوت الجنـة للشهيد، ٣/ ١٥٠٩، برقم ١٩٠٠.

العجـــم أراد الله بهـــم خيـــراً أدخـــل عليهـــم الإسلام»(١) .

١٣ـ الإسلام يثمر الخيرات والبركات في الدنيا والآخرة، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنةً يعطى بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطعم بحسناتِ ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يُجزى بها»(٢) .

١٤ـ الإسلام يشرح الله به صدر صاحبه، قال الله عز وجل: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ

---

(١) أحمد في المسند، ٣/ ٤٧٧، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ١/ ٣٤، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٥١ .

(٢) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة، وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا، ٤/ ٢١٦٢، برقم ٢٨٠٨ .

ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[١] .

١٥ـ الإسلام يثمر النور لصاحبه في الدنيا والآخرة، قال الله عز وجل: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٢] .

١٦ـ الإسلام يجعل لصاحبه المكانة العالية عند الله عز وجل، فقد ثبت عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم»[٣] .

١٧ـ الإسلام الكامل يثمر لصاحبه حلاوة الإيمان، فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاث من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥ .

(٢) سورة الزمر، الآية: ٢٢ .

(٣) الترمذي، كتاب الديات، باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن، ٤/ ١٦، برقم ١٣٩٥، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٢/ ٥٦ .

الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»[١] ، وعن العباس بن عبدالمطلب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ذاق طعم الإيمان: من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً»[٢] ﷺ.

١٨ـ الإسلام صراط الله المستقيم، ومن سلكه كان من الفائزين، فعن النوَّاس بن سمعان رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: «ضرب الله مثلًا صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الإيمان، باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان، ١/ ١٣، برقم ٢١، ومسلم، كتاب الإيمان، باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، ١/ ٦٦، برقم ٤٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً فهو مؤمن، ١/ ٦٢، برقم ٣٤.

سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يــاأيهــا النــاس ادخلــوا الصــراط جميعــاً ولا تعوجُّوا، وداعٍ يدعو من جوف الصراط فإذا أراد أحدكم فتح شيء من تلك الأبواب قال: ويلك لا تفتحـه فـإنـك إن فتحتـه تلجـه، والصـراط الإسلام، والسوران حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله عز وجل، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم»[1]، زاد الترمذي: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[2].

(١) أحمد في المسند، ٤/ ١٨٢، ١٨٣، والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي، ١/ ٧٣، والترمذي، في كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الله لعباده، ٥/ ١٤٤، برقم ٢٨٥٩، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، ١, ٦٧.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٥.

١٩ـ من رضي بالإسلام ديناً أرضاه الله في الدنيا والآخرة، فقد جاء عن النبي ﷺ: «من قال حين يمسي وحين يصبح: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ثلاث مرات إلا كان حقاً على الله أن يرضيه»[1].

٢٠ـ الإسلام هو الدين الذي كمله الله ورضيه فختم به الأديان، قال الله سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[2].

٢١ـ الإسلام يأمر بكل خير وصلاح وينهى عن كل شر وضرر، فما من مصلحة دقيقة ولا جليلة إلا أرشد إليها، ولا خير إلا دلَّ عليه، ولا

---

(١) أحمد في المسند، ٤/ ٣٦٧، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم ٤، وابن السني في عمل اليوم والليلة رقم ٦٨، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ١/ ٥١٨، وأبو داود برقم ٥٠٧٢، والترمذي برقم ٣٣٨٩، وحسنه ابن باز في تحفة الأخيار ص٣٩.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

شر إلا حذر عنه: فهو يأمر بتوحيد الله والإيمان به، ويحث على العلم والمعرفة، ويأمر بالعدل والصدق في الأقوال والأفعال، وبالبر والصلة والإحسان إلى الأقارب والجيران والأصحاب وجميع الخلق، وينهى عن الكذب، والظلم، والقسوة، والعقوق، والبخل، وسوء الخلق، ويأمر بالوفاء، وينهى عن الغدر، والغش، ويـأمـر بـالنصـح، والاجتمـاع، والتـآلـف، والتحـابـب والإنفـاق، وينهـى عـن التعـادي والتباغض والافتراق، والمعاملات السيئة، وأكل المال بالباطل، ويأمر بأداء الحقوق، وينهى عن ضدها، ويأمر بكل معروف وطيِّب ونافع ومستحسن شرعاً وعقلاً وفطرة، وينهى عن كل فاحشة ومنكر وخبيث شرعاً وعقلاً وفطرة، ويأمر بالتعاون على البر والتقوى، وينهـى عـن التعـاون علـى الإثـم والعـدوان،

والتعلق بالمخلوقين والعمل لأجلهم، ويأمر بعبادة الله وحده، ويحفظ الدين، والنفس، والعرض، والعقل، والمال، وهذا الدين صالح لكل زمان، ومكان، ولكل أمة، ونبي هذا الدين محمد ﷺ هو أعلى الخلق في كل صفة كمال إنساني، ولذلك صار سيد الخلق ﷺ[1].

٢٢ـ اختص الإسلام بخصائص عظيمة كريمة، منها:

أ) الإسلام من عند الله، قال الله عز وجل يمدح نبيه ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[2].

ب) شامل لجميع نظم الحياة وسلوك الإنسان شمولاً تاماً.

(١) انظر: وجوب التعاون بين المسلمين، للسعدي، ص٢٢.
(٢) سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤.

جـ) عام لكل مكلف من الجن والإنس في كل زمان ومكان، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[1] .

د) والإسلام من حيث الثواب والعقاب ذو جزاء أخروي بالإضافة إلى جزائه الدنوي .

هـ) الإسلام يحرص على إبلاغ الناس أعلى مستوى ممكن من الكمال الإنساني، وهذه مثالية الإسلام، ولكنه لا يغفل عن طبيعة الإنسان وواقعه، وهذه هي واقعية الإسلام .

و) الإسلام وسط: في عقائده، وعباداته، وأخلاقه، وأنظمته، قال الله عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[2] ، وهذه خصائص جميلة[3] .

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨ .
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٣ .
(٣) انظر: الحكمة في الدعوة إلى الله، للمؤلف، ص١١٧ .

○ المطلب الرابع: نواقض الإسلام:

نواقض الإسلام كثيرة وقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى في باب حكم المرتد أن المسلم قد يرتد عن دينه بأمور وأنواع كثيرة من النواقض التي تحل دمه وماله ويكون بها خارجاً من الإسلام ومن أخطرها وأكثرها وقوعاً عشرة نواقض[1] .

الأول: الشرك في عبادة الله تعالى، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾[2] ، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾[3] ومنه الذبح لغير الله

---

(١) انظر: هذه النواقض في مؤلفات الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى، القسم الأول، العقيدة والآداب الإسلامية ص ٣٨٥، ومجموعة التوحيد لشيخي الإسلام أحمد بن تيمية، ومحمد ابن عبدالوهاب ص ٢٧، ص ٢٨ .

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٦ .

(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٢ .

كمن يذبح للجن أو للقبر.

الثـاني: مـن جعـل بينـه وبين الله وسـائـط يدعوهم، ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم، فقد كفر إجماعاً.

الثـالـث: مـن لم يكفِّـر المشركين أو شـك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر.

الرابع: من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ـ كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه ـ فهو كافر.

ويدخل في هذا الناقض: من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام، أو أنها مساوية لها، أو أنه يجوز التحاكم إليها ولو اعتقد أن الحكم بالشريعة أفضل، أو أن نظـام الإســلام لا يصلــح تطبيقــه في القــرن

العشرين، أو أنه كان سبباً في تخلف المسلمين، أو أنه يحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شؤون الحياة الأخرى، ويدخل فيه أيضاً من يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر، ويدخل في ذلك أيضاً كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة؛ لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرم الله إجماعاً وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم تحريمه من الدين بالضرورة: كالزنا، والخمر، والربا، والحكم بغير شريعة الله فهو كافر بإجماع المسلمين. نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه[١] .

والخلاصة أن الحكم بغير ما أنزل الله فيه

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للعلامة ابن باز ١/ ١٣٧ .

تفصيل وإليك الصواب في ذلك إن شاء الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[١] ، وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٢] ، وقال سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[٣] ، قال طاووس وعطاء: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق[٤] ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «هي به كفر، وليس كفراً بالله وملائكته وكتبه ورسله»[٥] . وقال رضي الله عنه: «من جحد ما أنزل الله فقد كفر. ومن أقر به ولم يحكم: فهو

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٤.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٥.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٧.
(٤) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٨، وانظر: تفسير الطبري ١٠/ ٣٥٥-٣٥٨.
(٥) تفسير ابن جرير ١٠/ ٣٥٦.

ظالم فاسق»[١] . والصواب أن من حكم بغير ما أنزل الله قد يكون مرتداً، وقد يكون مسلماً عاصياً مرتكباً لكبيرة من كبائر الذنوب؛ فلهذا نجد أن أهل العلم قد قسموا الكلمات الآتية إلى قسمين، وهي كلمة: كافر، وفاسق، وظالم، ومنافق، ومشرك. فكفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسوق دون فسوق، ونفاق دون نفاق، وشرك دون شرك.

فالأكبر يخرج من الملة لمنافاته أصل الدين بالكلية. والأصغر ينقص الإيمان وينافي كماله، ولا يخرج صاحبه من الملة؛ ولهذا فصَّل العلماءُ القول في حكم من حكم بغير ما أنزل الله تعالى:

قال سماحة الإمام الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز حفظه الله تعالى: «من حكم بغير ما أنزل الله فلا يخرج عن أربعة أنواع:

(١) المرجع السابق ١٠/ ٣٥٦.

١- من قال أنا أحكم بهذا لأنه أفضل من الشريعة الإسلامية فهو كافر كفراً أكبر.

٢- ومن قال أنا أحكم بهذا لأنه مثل الشريعة الإسلامية، فالحكم بهذا جائز وبالشريعة جائز، فهو كافر كفراً أكبر.

٣- ومن قال أنا أحكم بهذا، والحكم بالشريعة الإسلامية أفضل لكن الحكم بغير ما أنزل الله جائز، فهو كافر كفراً أكبر.

٤- ومن قال أنا أحكم بهذا وهو يعتقد أن الحكم بغير ما أنزل الله لا يجوز ويقول: الحكم بالشريعة الإسلامية أفضل ولا يجوز الحكم بغيرها ولكنه متساهل أو يفعل هذا لأمر صادر من حُكَّامه فهو كافر كفراً أصغر لا يخرج من الملة ويعتبر من أكبر الكبائر[1].

---

(١) حدثنا بهذا الشيخ عبدالعزيز بن باز وهو مسجل في شريط في=

ولا منافاة بين تسمية العمل فسقاً، أو عامله فاسقاً، وبين تسميته مسلما وجريان أحكام المسلمين عليه؛ لأنه ليس كل فسق يكون كفراً، ولا كل ما يسمى كفراً، وظلماً، يكون مخرجاً من الملة حتى ينظر إلى لوازمه وملزوماته؛ وذلك لأنَّ كلاً من الكفر، والشرك، والظلم، والفسوق، والنفاق جاءت في النصوص على قسمين:

(أ) أكبر يخرج من الملة لمنافاته أصل الدين.

(ب) أصغر ينقص الإيمان وينافي كماله، ولا يخرج صاحبه منه. فكفر دون كفر، وشرك دون شرك، وظلم دون ظلم، وفسوق دون فسوق، ونفاق دون نفاق. والفاسق بالمعاصي التي لا توجب الكفر لا يخلد في النار، بل أمره مردود إلى

مكتبتي الخاصة، وانظر: فتاوى سماحته ١/ ١٣٧، وانظر: التفصيل ومتى يكون الحكم بغير ما أنزل الله كفرا أكبر: كتاب «نواقض الإيمان القولية والعملية»، للدكتور عبدالعزيز آل عبداللطيف ص ٣١١-٣٤٣، وص ٢٤٩-٣٤٣.

الله تعالى، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة من أول وهلة برحمته وفضله وإن شاء عاقبه بقدر الذنب الذي مات مصراً عليه ولا يخلده في النار، بل يخرجه برحمته ثم بشفاعة الشافعين إن كان مات على الإيمان[١] .

الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر إجماعاً؛ لقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾[٢] .

السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه، أو عقابه، كفر. والدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾[٣] .

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم أصول التوحيد، للشيخ حافظ الحكمي ٢/ ٤٢٣ .
(٢) سورة محمد، الآية: ٩ .
(٣) سورة التوبة، الآيتان: ٦٥، ٦٦ .

الســـابـــع: السحـــر ومنـــه الصرف[١] ، والعطـف[٢] ، فمـن فعلـه أو رضي بـه كفـر ، والدليل قوله تعالى : ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[٣] .

الثامن: مظاهرة[٤] المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٥] .

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر .

---

(١) الصرف : عمل سحري يقصد منه تغيير الإنسان وصرفه عما يهواه كصرف الرجل عن محبة زوجته إلى بغضها .

(٢) العطف : عمل سحري يقصد منه ترغيب الإنسان فيما لا يهواه فيحبه بطرق شيطانية .

(٣) سورة البقرة، الآية : ١٠٢ .

(٤) المظاهرة : المناصرة والتعاون معهم على المسلمين .

(٥) سورة المائدة، الآية : ٥١ .

العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾[١] ، ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل، والجاد، والخائف، إلا المكره، وكلها أعظم ما يكون خطراً وأكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه. نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عاقبته[٢] .

* * *

(١) سورة السجدة، الآية : ٢٢ .

(٢) مجموعة التوحيد لشيخي الإسلام: أحمد ابن تيمية، ومحمد بن عبدالوهاب رحمهما الله ص ٢٧ ، ٢٨ ، ومؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة والآداب الإسلامية ص ٣٨٥، ٣٨٧ ، ومجموعة فتاوى ابن باز ١/ ١٣٥ .

المبحث الثاني: ظلمات الكفر

○ **المطلب الأول: مفهوم الكفر:**

أولاً: الكفر: بالفتح: الستر والتغطية يقال: كفر الزارع البذر في الأرض: إذا غطاه بالتراب. وبالضم: ضِدُّ الإيمان، وكفر نعمة الله وبها كُفُوراً وكفراناً: جحدها، وسترها، وكافره حقه: جحده، والمكفَّرُ كَمُعَظَّمٍ: المجحُودُ النِّعمةِ مع إحسانِهِ. وكَافِرٌ: جَاحِدٌ لأَنْعُمِ الله تعالى[١].

فالكفر: هو الستر وجحود الحق وإنكاره، والكافر: ضد المسلم، والمرتد: هو الذي كفر بعد إسلامه؛ بقول، أو فعل، أو اعتقاد، أو شك، وحد الكفر الجامع لجميع أجناسه وأنواعه

(١) القاموس المحيط، فصل الكاف، باب الراء، والمعجم الوسيط ص ٧٩١.

وأفراده: هو جحد ما جاء به الرسول ﷺ، أو جحد بعضه، كما أن الإيمان: اعتقاد ما جاء به الـرسـول ﷺ والتـزامـه والعمـل بـه جملـة وتفصيلاً[١] . والكفر هـو: أول مـا ذُكِرَ من المعاصي في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[٢] ، وهو أكبر الكبائر على الإطلاق، فلا كبيرة فوق الكفر[٣] والكفر كفران:

(أ) كفر يخرج من الملة، وهو «الكفر الأكبر».

(ب) كفر لا يخرج من الملة، وهو «الكفر الأصغر» أو كفر دون كفر[٤] .

---

(١) إرشاد أولى البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب، للسعدي رحمه الله ص ١٩١ .
(٢) سورة البقرة، الآية: ٦ .
(٣) الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ص ٥ .
(٤) مجموعة التوحيد لشيخي الإسلام، أحمد بن تيمية، ومحمد بن عبدالوهاب ص ٦ .

ثانياً: الإلحاد: إلحاد ولحود، ولحد القبر
منع، وألحده، عمل له لحداً، والميت دفنه
إليه مال كالتحد. وألحد مال، وعدل،
مارى، وجادل[١] ويلاحظ أن المعاجم الحديثة
ستعملت كلمة إلحاد، وفسرتها بأنها الكفر.
فَهمُ المفسرين لمادة «لحد» في القرآن
كريم، يمكن تلخيصه في أنه الميل عن دين الله إلى
رجة الكفر، وفسروا الإلحاد في سورة الحج، بأنه
ب معصية في الحرم، ولكن المعصية في الحرم إذا
ست بغيرها في مكان آخر كانت شديدة جداً[٢].

قال فضيلة الشيخ عبدالرحمن الدوسري رحمه
ه: «الإلحاد هو الميل عن الحق والانحراف عنه
شتى الاعتقادات، والتأويلات ولذا سمى لحد
قبر لحداً، لميله عن وسطه إلى أحد جوانبه.

---

(١) القاموس المحيط، فصل اللام، باب الدال، والمعجم الوسيط ص ٨١٧.
(٢) جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي ص ٢١.

فالمنحرف عن صراط الله والمعاكس لحكمه بالتأويل الفاسد وإبداء التشكيك، يسمى ملحداً. . . وأول الناس إلحاداً المشركون الذين اشتقوا لآلهتهم من أسماء الله. كاللات، والعزى، ومن الإل الذي هو الإلـٰه. . . ثم كل من ألحد في أسمائه وصفاته وصرفها عن ظاهرها. . . فهو ملحد»[١].

○ **المطلب الثاني: أنواع الكفر:**

أولاً: الكفر الأكبر المخرج من الملة، وهو خمسة أنواع[٢]:

النوع الأول: كفر التكذيب، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾[٣].

النوع الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق، والدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ

---

(١) الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة لعبدالرحمن الدوسري ص ٤٠.
(٢) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، ١/ ٣٣٥-٣٣٨.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦٨.

ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1] .

النوع الثالث: كفر الشك، وهو كفر الظن، والدليل قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا * وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا * قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا * لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾[2] .

النوع الرابع: كفر الإعراض، والدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ﴾[3] .

النوع الخامس: كفر النفاق، والدليل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٤.
(٢) سورة الكهف، الآيات: ٣٥-٣٨.
(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٣.

قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾(١) .

ثانياً: كفر أصغر لا يخرج من الملة:

وهـو كفـر النعمـة: والـدليـل قـولـه تعـالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾(٢) ، والله المستعان(٣) .

ومما يدل من السنة على الكفر الذي لا يخرج من الملة، قوله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»(٤) ، وقوله ﷺ: «إذا قال الرجل

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٣ .
(٢) سورة النحل، الآية: ١١٢ .
(٣) مجموعة التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب والشيخ ابن تيمية رحمهما الله ص ٦ .
(٤) متفق عليه من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عنه من السباب واللعن، ٧/ ١١٠ ، برقم ٦٠٤٤ ، ومسلم، في كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: =

لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما»[١] ، وقوله ﷺ: «من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها . . فقد كفر بما أنزل على محمد»[٢] ، ونظائر ذلك كثيرة .

وهذا النوع لا يبطل الإسلام ولكن ينقصه ويضعفه، ويكون صاحبه على خطر عظيم من غضب الله تعالى وعقابه إذا لم يتب، وهو جنس المعاصي التي يعرف صاحبها أنها معاصي، كالزنا ولكن لا يستحلها فهذا تحت مشيئة الله تعالى، إن شاء عذبه ثم أدخله الجنة بإيمانه وعمله الصالح وإن شاء غفر له[٣] .

= «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»، ١/ ٨١، برقم ٦٤ .

(١) متفق عليه من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: البخاري، كتاب الأدب، باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، ٧/ ١٢٦، برقم ٦١٠٤، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان حال من قال لأخيه المسلم يا كافر، ١/ ٧٩، ٦٠ .

(٢) مسند الإمام أحمد ٢/ ٤٠٨، وصححه الألباني في آداب الزفاف ص ٣١ .

(٣) انظر: فتاوى سماحة العلامة ابن باز ٤/ ٢٠ و ٤٥ .

ثالثاً: الفرق بين الكفر الأكبر والأصغر:

١- الكفر الأكبر يخرج من الملة والأصغر لا يخرج من الملة.

٢- الكفر الأكبر يحبط جميع الأعمال، والأصغر لا يحبطها لكنه ينقصها.

٣- الكفر الأكبر يخلد في النار والأصغر لا يخلد، وهذا إذا دخلها فإن الله قد يعفو عنه.

٤- الكفـر الأكبر يبيـح الـدم والمـال والكفـر الأصغر لا يبيح الدم والمال.

٥- الكفر الأكبر يوجب العداوة بين صاحبه وبين المـؤمنين، ولا يجـوز للمـؤمنين محبتـه وموالاته، ولو كان أقرب قريب، وأما الكفر الأصغر فإنه لا يمنع الموالاة مطلقاً بل صـاحبـه يحـب ويـوالى بقـدر مـا معـه مـن

الإيمان، ويبغض ويعادى بقدر ما فيه من العصيان[1] .

○ **المطلب الثالث: خطورة التكفير:**

الذي ينبغي أن نؤصله هنا: أن الحكم بالكفر على إنسان ما حكم خطير، لما يترتب عليه من آثار، هي غاية في الخطر، منها:

١- إنه لا يحل لزوجته البقاء معه، ويجب أن يفرق بينها وبينه؛ لأن المسلمة لا يصح أن تكون زوجة لكافر بالإجماع المتيقن.

٢- إن أولاده لا يجوز أن يبقوا تحت سلطانه؛ لأنه لا يؤتمن عليهم، ويُخشى أن يؤثر عليهم بكفره، وبخاصة أن عودهم طري؛ وهم أمانة في عنق المجتمع الإسلامي كله.

٣- إنه فقد حق الولاية والنصرة من المجتمع

(١) انظر: كتاب التوحيد للعلامة الدكتور صالح الفوزان ص ١٥ .

الإسلامي بعد أن مرق منه وخرج عليه بالكفر الصريح، والردة البواح.

٤- إنه يجب أن يحاكم أمام القضاء الإسلامي؛ لينفذ فيه حكم المرتد، بعد أن يستتاب وتزال من ذهنه الشبهات وتقام عليه الحجة.

٥- إنه إذا مات على ردته لا تجرى عليه أحكام المسلمين، فقلا يُغسل، ولا يُصلى عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين، ولا يُورث، كما إنه لا يرث إذا مات مورث له قبله.

٦- إنه إذا مات على حاله من الكفر يستوجب لعنة الله وطرده من رحمته، والخلود الأبدي في نار جهنم. وهذه الأحكام الخطيرة توجب على من يتصدى للحكم بتكفير أحدٍ من المسلمين، أن يتريث مرات ومرات قبل أن يقول ما يقول[1].

---

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية ٦/ ٤٩، وقد قرأتُ هذه المسائل على معالي الشيخ الدكتور صالح الفوزان، في=

٧- إنه لا يُدعَىٰ له بالرحمة ولا يستغفر له؛ لقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾[1]، قال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: «الكفر حق الله ورسوله فلا كافر إلا من كفره الله ورسوله»[2].

○ **المطلب الرابع: أصول المكفرات:**

أولاً: الكفار نوعان:

النوع الأول: الكفار الذين لم يدخلوا في دين الإسلام ولا انتسبوا للإيمان بمحمد ﷺ من: أميين، ومشركين، وأهل كتاب، من: يهود

= ٢٠/ ٦/ ١٤١٧، فأقرها جزاه الله خيراً.

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٣.

(٢) إرشاد أولى البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب ص ١٩٨.

ونصـارى، ومـن: مجـوس، وعبـدة أوثـان، ودهريين، وفلاسفة... وغيرهم من أصناف الكفار، فهؤلاء الجنس، دل الكتاب والسنة، وإجماع المسلمين، على كفرهم، وشقائهم، وخلودهم في النار، وتحريم الجنة عليهم، ولا فرق بين عالمهم وجاهلهم، وأُميهم، وكتابيِّهم وعوامِّهِمْ وخواصِّهِمْ، وهذا أمر معلوم بالضرورة من دين الإسلام.

النوع الثاني: الذين ينتسبون لدين الإسلام ويزعمون أنهم مؤمنون بمحمد ﷺ، ثم يصدر منهم ما يناقض هذا الأصل، ويزعمون بقاءهم على دين الإسلام وأنهم من أهله، **فهؤلاء لتكفيرهم أسباب متعددة ترجع كلها إلى تكذيب** الله ورسوله، وعدم التزام دينه ولوازم ذلك[1].

---

(١) انظر: إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق والأسباب، للسعدي، ص ١٩١-١٩٣.

ثانياً: جميع المكفرات تدخل تحت نواقض أربعة: القول، أو الفعل، أو الاعتقاد، أو الشك والتوقف. قال سماحة العلامة إمام علماء هذا العصر، عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز حفظه الله ورفع درجاته: «**العقيدة الإسلامية لها قوادح وهذه القوادح قسمان**: قسم ينقض هذه العقيدة ويبطلها ويكون صاحبه كافراً نعوذ بالله، وقسم ينقص هذه العقيدة ويضعفها:

القسم الأول: القوادح المكفرة:

نـواقـض الإسـلام هـي المـوجبـة للـرِّدَّة هـذه تسمى نواقض، والناقض يكون قولاً، ويكون عملاً، ويكون اعتقاداً، ويكون شَكّاً.

فقد يرتدُّ الإنسان بقولٍ يقوله، أو بعملٍ يعمله، أو باعتقادٍ يعتقده، أو بشكٍ يطرؤ عليه، وهذه الأمور الأربعة كلُّها يأتي منها الناقض

الذي يقدح في العقيدة ويبطلها، وقد ذَكَرَها أهل العلم في كتبهم وسَمَّو بابها: «باب حكم المرتد»، فكلُّ مذهبٍ من مذاهب العلماء، وكلُّ فقيهٍ من الفقهاء أَلَّفَ كُتُباً ـ في الغالب ـ عندما يذكر الحدود ـ يذكر باب حكم المرتد، وهو الذي يكفر بعد الإسلام، وهذا مرتد، يعني أَنَّه رَجَع عن دين الله وارتدَّ عنه، قال فيه النبي ﷺ: «من بدَّل دينَهُ فاقتلوه» خرَّجه البخاري في «الصحيح»[1].

وفي «الصحيحين»[2] أن النبي ﷺ بعث أبا موسى الأشعري إلى اليمن، ثم أَتْبَعَهُ معاذ بن جبل، فلما قَدِمَ عليه قال: انزل، وألقى له

---

(١) البخاري، كتاب الجهاد، باب: لا يعذب بعذاب الله، ٤/ ٢٧، برقم ٣٠١٧.

(٢) متفق عليه من حديث أبي موسى رضي الله عنه: البخاري، كتاب استتابة المرتدين، ٨/ ٦٤، برقم ٦٩٢٣، ومسلم، كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة، ٣/ ١٤٥٦، برقم ١٧٣٣.

وسادة، وإذا رجلٌ عنده مُوثَق، قال: ما هذا؟ قال: هذا كان يهوديًا فأسلم ثم راجع دينه ـ دين السَّوء ـ فتهوَّد، قال: لا أجلس حتى يُقتل، قضاء الله ورسوله، فقال: اجلس، نعم، قال: لا أجلس حتَّى يقتل، قضاء الله ورسوله، ثلاث مرات، فأمر به فَقُتِل.

فدلَّ ذلك على أن المرتد عن الإسلام يقتل، إذا لم يتب، يستتاب فإن تاب ورجع فالحمد لله، وإن لم يرجع وأصرَّ على كفره وضلاله يُقْتَل، ويُعجَّل به إلى النار لقوله ﷺ: **«من بدَّل دينه فاقتلوه»**[١].

١- الرّدة بالقول:

النواقض التي تنقض الإسلام كثيرة، منها قولٌ، مثل: سبّ الله: هذا قولٌ ينقض الدين،

(١) رواه البخاري (٣٠١٧)، وتقدم تخريجه ص٥١.

وسب الرسول ﷺ، يعني: اللعن والسبّ لله ولرسوله، أو العيب، مثل أن يقول: إنَّ الله ظالم، إنَّ الله بخيل، إنَّ الله فقير، إنَّ الله ـ جل وعلا ـ لا يعلم بعض الأمور، أو لا يقدر على بعض الأمور كُلُّ هذه الأقوال رِدَّةٌ عن الإسلام.

من انْتقص الله أو سبَّه أو عابه بشيء فهو كافر مرتدٌ عن الإسلام ـ نعوذ بالله ـ هذه ردةٌ قولية، إذا سبَّ الله أو استهزأ به أو تنقَّصه أو وصفه بأمرٍ لا يليق، كما تقول اليهود: إن الله بخيل، إن الله فقير ونحن أغنياء وهكذا لو قال: إن الله لا يعلم بعض الأمور، أو لا يقدر على بعض الأمور، أو نفى صفات الله ولم يؤمن بها، فهذا يكون مرتداً بأقواله السيئة.

أو قال مثلًا: إنَّ الله لم يوجب علينا الصلاة، هذه ردة عن الإسلام، من قال إن الله لم يوجب الصلاة فقد ارتدَّ عن الإسلام بإجماع المسلمين،

إلا إذا كان جاهلاً بعيداً عن المسلمين لا يعرف، فيُعلَّم، فإنْ أصرَّ كَفَر.

وأما إذا كان بين المسلمين، ويعرف أمور الدِّين، فإن قال: ليست الصلاة بواجبة؛ فهذه رِدَّة، يستتاب فإن تاب وإلاَّ قُتِل.

أو قال: الزكاة غير واجبة على الناس، أو **قال:** صوم رمضان غير واجب على الناس، أو الحج مع الاستطاعة غير واجب على الناس، من قال هذه المقالات كَفَر إجماعاً، ويستتاب فإن تاب وإلاَّ قتل ـ نعوذ بالله ـ. وهذه الأمور ردَّةٌ قولية:

٢- الرّدة بالفعل:

والردة الفعلية: مثل: ترك الصلاة، فكونه لا يصلي، وإن قال: إنها واجبة ـ لكن لا يصلي ـ هذه ردَّة على الأصح من أقوال العلماء؛ لقول النبي ﷺ: «**العَهْدُ الذي بيننا وبينهم الصلاة،**

فمن تَرَكَها فقد كفر» رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمـذي والنسـائـي وابـن مـاجـه بـإسنـاد صحيح[١] ، وقوله ﷺ: «بين الرجل وبين الكفر والشرك تـرك الصـلاة» أخـرجـه مسلـم في «صحيحه»[٢] .

وقال شَقِيقُ بن عبدالله العُقَيليّ التابعي المتفق على جلالته ـ رحمه الله ـ: «كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفرٌ غير الصلاة» رواه الترمذي[٣] وإسناده صحيح .

---

(١) المسند ٥/ ٣٤٦، وسنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، ٥/ ١٤، برقم ٢٦٢١، وسنن النسائي، كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة، ١/ ٢٣١، ٢٣٢، برقم ٤٦٣، وسنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، ١/ ٣٤٢، برقم ١٠٧٩، من حديث بريدة رضي الله عنه، وانظر صحيح الترمذي ٣/ ٣٢٩.

(٢) كتاب الإيمان، باب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، ١/ ٨٨، برقم ٨٢.

(٣) السنن ، كتاب الإيمان، باب: ما جاء في ترك الصلاة، ٥/ ١٤، برقم ٢٦٢٢.

وهذه ردةٌ فعلية، وهي ترك الصلاة عمداً.

ومن ذلك: لو استهان بالمصحف الشريف وقعد عليه مستهيناً به، أو لطَّخه بالنجاسة عمداً، أو وطأه بقدمه يستهين به، فإنه يرتد بذلك عن الإسلام.

ومن الردة الفعلية: كونه يطوف بالقبور يتقرب لأهلها بذلك، أو يصلي لهم أو للجن. وهذه رِدَّةٌ فعلية.

أما دعاؤه إيَّاهم والاستعانة بهم والنذر لهم: فردَّة قولية.

أما من طاف بالقبور يقصد بذلك عبادة الله فهو بدعةٌ قادحةٌ في الدِّين، لا يكون رِدَّة إنما يكون بدعة قادحة في الدين، إذا لم يقصد التقرب إليه بذلك. وإنما فعل ذلك تقرباً إلى الله سبحانه جهلاً منه.

ومن الكفر الفعلي: كونه يذبح لغير الله ويتقرب لغيره سبحانه بالذبائح، يذبح البعير أو الشاة أو الدجاجة أو البقرة لأصحاب القبور تقرباً إليهم يعبُدُهم بها، أو للجنِّ يعبدهم بها، أو للكواكب يتقرب إليها بذلك، وهذا ما أُهِلَّ به لغير الله، فيكون ميتةً، ويكون كفراً أكبر ـ نسأل الله العافية ـ. هذه كلُّها من أنواع الردة عن الإسلام والنواقض الفعلية.

٣- الرّدة بالاعتقاد:

ومن أنواع الردة العقدية: التي يعتقدُها بقلبه وإن لم يتكلم ولم يفعل ـ بل بقلبه يعتقد ـ إذا اعتقد بقلبه أنَّ الله جل وعلا فقيرٌ أو أنه بخيل أو أنه ظالم، ولو أنه ما تكلم، ولو لم يفعل شيئاً هذا كفر بمجرد هذه العقيدة بإجماع المسلمين.

أو اعتقد بقلبه أنه لا يُوجد بعثٌ ولا نشور وأن كلَّ ما جاء هذا ليس له حقيقة، أو اعتقد

بقلبه أنه لا يوجد جَنَّة أو نار، ولا حياة أخرى، إذا اعتقـد ذلك بقلبه ولو لم يتكلم بشيء، هذا كفرٌ ورِدَّةٌ عن الإسلام ـ نعوذ بالله ـ وتكون أعمالُهُ باطلة، ويكون مصيره إلى النار بسبب هذه العقيدة.

وهكذا لو اعتقد بقلبه ـ ولو لم يتكلم ـ أنَّ محمداً ﷺ ليس بصادق، أو أنَّه ليس بخاتم الأنبياء، وأنَّ بعده أنبياء، أو اعتقد أنَّ مُسيلمة الكذَّاب نبيٌّ صادق، فإنه يكون كافراً بهذه العقيدة.

أو اعتقد ـ بقلبه ـ أنَّ نوحاً أو موسى أو عيسى أو غيرهم من الأنبياء عليهم السلام أنهم كاذبين أو أحداً منهم، فهذا ردةٌ عن الإسلام.

أو اعتقد أنَّه لا بأس أنْ يُدعى مع الله غيره، كالأنبياء أو غيرهم من الناس، أو الشمس

والكواكب أو غيرها، إذا اعتقد بقلبه ذلك صار مُرتداً عن الإسلام ـ لأن الله تعالى ـ يقول: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾[1] ، وقال سبحانه: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2] ، وقال: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[3] ، وقال: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[4] ، وقال: ﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[5] ، وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[6] والآيات في هذا المعنى كثيرة.

---

(١) سورة الحج، الآية: ٦٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٣.
(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٥.
(٤) سورة الإسراء، جزء من الآية: ٢٣.
(٥) سورة غافر، جزء من الآية: ١٤.
(٦) سورة الزمر، الآية: ٦٥.

فمن زَعَم أو اعتقد أَنَّه يجوزُ أَنْ يُعْبَدَ مع الله غيرُهُ من مَلَكٍ، أو نبيٍّ، أو شجرٍ، أو جِنٍّ، أو غير ذلك فهو كافر وإذا نطق وقال بلسانه ذلك صار كافراً بالقول والعقيدة جميعاً، وإنْ فعل ذلك ودعا غير الله واستغاث بغير الله صار كافراً بـالقـول والعمـل والعقيـدة جميعـاً، نسـأل الله العافية.

ومما يدخل في هذا ما يفعله عُبَّاد القبور اليوم في كثير مــن الأمصــار مــن دعــاء الأمــوات، والاستغاثة بهم، وطلب المدَدِ منهم، فيقول بعضهم: يا سيدي المَدَدَ المَدَدَ، يا سيدي الغوثَ الغـوثَ، أنـا بجـوارك، اشـفِ مـريضي، ورُدَّ غائبي وأصلح قلبي.

يخاطبون الأموات الذين يسمونهم الأولياء ويسألونهم هذا السؤال، نَسُوا الله وأشركوا معه غيره ـ تعالى الله عن ذلك ـ.

فهذا كفرٌ قوليٌّ وعقديٌّ وفعليّ.

وبعضُهم ينادي من مكانٍ بعيد وفي أمصارٍ متباعدة: يا رسول الله انصرني... ونحو هذا، وبعضهم يقول عند قبره: يا رسول الله اشفِ مريضي، يا رسول الله المدد المدد، انصرنا على أعدائنا، أنت تعلم ما نحن فيه انصرنا على أعدائنا.

والرسول ﷺ لا يعلم الغيب، لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه، هذا من الشرك القوليِّ العمليّ، وإذا اعتقد مع ذلك أن هذا جائز وأنه لا بأس به صار شركاً قوليًّا وفعليًّا وعقديًّا، نسأل الله العافية.

٤- الرّدة بالشك:

عَرَضْنَا للرِّدَّة التي تكون بالقول، والردة في العمل، والردة في العقيدة، أما الردة بالشك فمثل

الذي يقول: أنا لا أدري هل الله حقٌ أم لا؟. . . أنا شاكٌّ، هذا كافرٌ كُفْرَ شكٍّ، أو قال: أنا لا أعلم هل البعث حقٌ أم لا؟ أو قال: أنا لا أدري هل الجنة والنار حقٌ أم لا؟. . . أنا لا أدري، أنا شاكٌّ؟.

فمثلُ هذا يستتاب، فإن تاب وإلا قُتِل كافراً لشكِّه فيما هو معلومٌ من الدِّين بالضرورة وبالنَّصِّ والإِجماع.

فالذي يشك في دينه ويقول: أنا لا أدري هل الله حقٌ، أو هل الرسول حقٌ، وهل هو صادق أم كاذب؟ أو قال: لا أدري هل هو خاتم النبيين، أو قال: لا أدري مسيلمة كاذب أم لا؟ أو قال: ما أدري هل الأسود العنسي ـ الذي ادَّعى النبوة في اليمن ـ كاذبٌ أم لا؟ هذه الشكوك كلُّها ردَّةٌ عن الإِسلام يستتاب صاحبها ويبيَّن له الحق فإن تاب وإلاَّ قُتِل.

ومثل لو قال: أشك في الصلاة هل هي واجبةٌ أم لا؟ والزكاة هل هي واجبةٌ أم لا؟ وصيام رمضـان هل هو واجبٌ أم لا؟ أو شك في الحج مع الاستطاعة هل هو واجبٌ في العُمُرِ مَرَّةً أم لا؟ فهـذه الشكـوك كلهـا كفـر أكبر يستتـاب صاحبها فإن تاب وآمن وإلاَّ قُتِلَ لقول النبي ﷺ: «من بدَّل دينه فاقتلوه» رواه البخاري في «الصحيح»[1].

فلابُدَّ من الإيمان بأنَّ هذه الأمور ـ أعني الصلاة والزكاة والصيام والحج كلها حق وواجبة على المسلمين بشروطها الشرعية[2].

أما الوسوسة العارضة والخطرات، فإنها لا تضر إذا دفعها المؤمن ولم يسكن إليها ولم تستقر في

(١) ورقمه (٣٠١٧)، وتقدم تخريجه ص٥١.
(٢) انظر: القوادح في العقيدة ووسائل السلامة منها لسماحة الشيخ العلامة عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز ص ٢٧-٤٢، بتصرف يسير جداً.

قلبه؛ لقوله ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به»[١].

وعليه أن يعمل الآتي:

١- يستعيذ بالله من الشيطان.

٢- ينتهي عما يدور في نفسه[٢].

٣- يقول آمنت بالله ورسله[٣].

القسم الثاني: قوادح دون الكفر:

تضعف الإيمان وتنقصه، وتجعل صاحبه معرضاً للنار وغضب الله، لكن لا يكون صاحبها

---

(١) مسلم، كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر، ١/ ١١٦.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ٤/ ١١٠، برقم ٣٢٧٦، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، ١/ ١٢٠، برقم ١٣٤.

(٣) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها، ١/ ١١٩، برقم ١٣٤.

كافراً، مثل: أكل الربا، وارتكاب المحرمات: كالزنا، والبدع، إذا آمن بأن ذلك حرام، ولم يستحله، أما إذا اعتقد أن ذلك حلالٌ صار كافراً، وغير ذلك مثل الاحتفال بالمولد وهو ما أحدثه الناس في القرن الرابع وما بعده من الاحتفال بمولد الرسول ﷺ، فيكون ذلك إضعافاً للعقيدة، إلا إذا كان هناك في المولد استغاثة بالرسول ﷺ، فإن هذه البدعة تكون من النوع الأول المخرج عن الإسلام. ومن النوع الثاني كذلك التطيرّ كما يفعل أهل الجاهلية وقد ردَّ الله عليهم: ﴿ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ﴾[1] . فالطيرة شرك دون كفر. . . وكذلك الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج، قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو

(١) سورة النمل، الآية: ٤٧ .

رد»(١) ، انتهى ملخصاً(٢) .

المطلب الخامس: آثار الكفر وأضراره

الكفر له آثار خطيرة، وأضرار جسيمة، منها ما يأتي:

١ ـ شر الدنيا والآخرة من أضرار الكفر وآثاره.

٢ ـ الكفر يسبب لصاحبه الضلال، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾(٣) .

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، ٣/ ٢٢٢، برقم ٢٦٩٧. ومسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ومحدثات الأمور، ٣/ ١٣٤٤، برقم ١٧١٨.

(٢) القوادح في العقيدة للعلامة ابن باز وهي محاضرة ألقاها في الجامع الكبير في شهر صفر عام ١٤٠٣هـ، وهي مسجلة عندي بمكتبتي الخاصة، ثم طبعت والحمد لله تعالى في عام ١٤١٦هـ، بعنوان: القوادح في العقيدة ووسائل السلامة منها، اعتنى بنشرها وعرضها على مؤلفها: خالد بن عبدالرحمن الشايع جزاه الله خيراً.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٧.

٣ ـ الكفـر الأكبر لا يغفره الله لمن مات عليـه، قـال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾(١).

٤ ـ الكفر أعظم أسباب الخزي والعار، قال الله عز وجل: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(٢).

٥ ـ يوجب الله لصاحبه النار، قال عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾(٣).

٦ ـ يحبـط جميـع الأعمـال، قـال الله عـز وجل: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾(٤)، وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٦٨ ـ ١٦٩.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٢.
(٣) سورة فاطر، الآية: ٣٦.
(٤) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.

بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[١] ، وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[٢] ، وقال عز وجل : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾[٣] .

٧ ـ يوجب الخلود في النار، قال الله عز وجل : ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[٤] .

٨ ـ يسبب الطرد والإبعاد من رحمة الله

---

(١) سورة المائدة، الآية : ٥ .
(٢) سورة النور، الآية : ٣٩ .
(٣) سورة إبراهيم، الآية : ١٨ .
(٤) سورة البقرة، الآية : ١٦٧ .

تعالى، قال الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾(١) .

٩ ـ أعظم أسباب غضب الله وأليم عقابه، قال الله عز وجل: ﴿ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٢) .

١٠ـ الكفر يجعل صاحبه أضيق الناس صدراً، قال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(٣) .

١١ـ الكفر يطبع على القلب، قال الله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٤) .

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٤ .
(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٦ .
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥ .
(٤) سورة النساء، الآية: ١٥٥ .

١٢ـ الكفر الأكبر يبيح الدم والمال عن طريق الجهاد أو عن طريق ولاة أمر المسلمين .

١٣ـ الكفر الأكبر يوجب العداوة بين صاحبه وبين المؤمنين، ولا يجوز للمؤمنين محبته وموالاته ولو كان أقرب قريب .

١٤ـ الكفر الأصغر ينقص الإيمان ويضعفه، ويكون صاحبه على خطر عظيم من غضب الله تعالى وعقابه إذا لم يتب، وهو جنس المعاصي[١] .

(١) انظر : فتاوى سماحة العلامة ابن باز، ٤/ ٢٠، ٤٥ .

الفهرس

كتب للمؤلف

٢- الفوز العظيم والخسران المبين في ضوء الكتاب والسنة .... توزيع مؤسسة الجريسي

٢- بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها .... توزيع مؤسسة الجريسي

٢- نور الشيب وحكم تغييره في ضوء السنة النبوية .... توزيع مؤسسة الجريسي

٢- فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري-رحمه الله-(١ ، ٢) .... توزيع مؤسسة الجريسي

٢- النور والظلمات في الكتاب والسنة .... توزيع مؤسسة الجريسي

٢- نور التوحيد وظلمات الشرك في ضوء الكتاب والسنة .... توزيع مؤسسة الجريسي

٢- نور الإخلاص وظلمات إرادة الدنيا بعمل الآخرة في ضوء الكتاب والسنة .... توزيع مؤسسة الجريسي

٢- نور الإسلام وظلمات الكفر في ضوء الكتاب والسنة توزيع مؤسسة الجريسي

٢- نور الإيمان وظلمات النفاق في ضوء الكتاب والسنة .... توزيع مؤسسة الجريسي

٣- نور السنة وظلمات البدعة في ضوء الكتاب والسنة .... توزيع مؤسسة الجريسي

٣- نور التقوى وظلمات المعاصي في ضوء الكتاب والسنة توزيع مؤسسة الجريسي